

التناص القرآني في شعر (سميح القاسم)

أ. م. د. جعفر بهاء الدين؛ كلية اللغات جامعة أصفهان
سميه حسن عليان؛ طالبة دكتوراه؛ كلية اللغات جامعة أصفهان

ملخص البحث

لا شك في أن القرآن الكريم منذ نزوله على خاتم الرسل محمد المصطفى ﷺ كان له أثره البالغ على مستمعيه وخاصة الأدياء بما فيهم الشعراء، فهو لا يزال منبعاً فياضاً لمن يريد أن يستلهم من آياته، وقد تأثر بالمفاهيم القرآنية أتباع الديانات الأخرى فضلاً عن المسلمين.

أما الشعراء الفلسطينيون في العصر الحاضر، فإن البعض منهم قد تأثر أيضاً بالمعاني القيمة للقرآن الكريم وقصصه، واستلهم في نضاله ضد العدو الصهيوني على سبيل "التناص القرآني" والذي يعتبر موضوعاً جديراً بالدراسة والاهتمام إلى جانب التناص الأدبي والتاريخي والأسطوري. تتناول هذه الدراسة أشعار الشاعر الفلسطيني المناضل "سميح القاسم" الذي يعد من رواد أدب المقاومة، معتمدة على المنهج التوصيفي - التحليلي، بغية الوصول إلى ما اهتم به الشاعر من ظاهرة "التناص القرآني" في أشعاره.

المفردات الدلالية: التناص القرآني، سميح القاسم، أدب المقاومة الفلسطينية.

مقدمة البحث:

التأثر بالقرآن الكريم كمنبع أصيل للمعاني الإنسانية العالية في آثار رواد الأدب العربي أمر لا يستهان به، مما أدى إلى اهتمام بعض البحوث الأدبية أن تتجه هذا الاتجاه.

تعتبر أحد مناحي الغزو الثقافي الصهيوني هو الهجوم على التراث الديني للأمة الفلسطينية المسلمة، و محاولة سلب ما عند هذه الأمة من الثقافة الإسلامية، وقد أشار غسان كنفاني في كتابه إلى قول اسرائيلي مثقف إذ اعتقد أن عليهم أن يأخذوا أراضي الفلسطينيين ويجعلوهم بمنأى عن الثقافة العربية والإسلامية و يضعوهم تحت هيمنة الثقافة اليهودية، كما أن سياسة إجراء خطة التجهيل من السمات البارزة للاضطهاد الثقافي الصهيوني، و تهدف هذه الخطة إلى إرساء استعمار من نوع اقتلاعي تستدرج بدورها اجراءات قمعية اسرائيلية من نوع آخر، تتبدى في محاربة المعلمين العرب و تشريدهم و منعهم من العمل و وضع سوط التهديد على رقابهم. (انظر: كنفاني، ١٩٦٨م، ص ٢٢)

علما بأن هذا الغزو الثقافي الصهيوني في فلسطين، أدى إلى أن يفكر الأديب الفلسطيني في الآيات القرآنية و معانيها العالية كتأملهم في الشخصيات القرآنية مستخدمين أياها لبيان ما حلت بهم من المصائب و

المشكلات في سبيل المقاومة، كأنهم وجدوا في المعاني القرآنية ما يزيد فيهم المقاومة والصبر أمام العدو الغاصب، فاستدعوا هذه الشخصيات في أشعارهم ليعبروا عن معاناتهم الزائدة عن الحد. هذا الأمر في حد ذاته قد أدى إلى مضاعفة أهمية تأثير القرآن على الأدب الفلسطيني.

لذا تناولت هذه المقالة أثر المفاهيم القرآنية على أحد الشعراء الفلسطينيين "سميح القاسم" بصفته أحد رواد شعراء المقاومة، وقد أشير فيها بداية إلى أثر القرآن الكريم على الأدب العربي إشارة موجزة، وإلى الشعر الفلسطيني المقاوم وبدايته، وإلى ظاهرة "التنصص" التي ظهرت إثر الدراسات اللسانية في الغرب، علماً بأن هذه الظاهرة كانت قائمة في الأدب العربي القديم بتسميات مختلفة كـ "الاقْتباس" و "التضمين" و "الاستشهاد" ... وفي المقالة إشارة إلى تأثير الشاعر بالقرآن الكريم في مجالين إثنين هما: العبارات والألفاظ القرآنية والشخصيات القرآنية.

وختاماً أمل أن تنال هذه الدراسة رضا الباحثين.

١ - القرآن والأدب العربي:

منذ أن استأنست الجزيرة العربية بالقرآن الكريم حيث أنعم الله تعالى على الإنسان بهذه المكرمة الخالدة وتلطف عليها بهذا الإعجاز السماوي استطاعت رسالته أن تستنهض المجتمع العربي وتحوّل مفاهيمه البالية إلى قيم ومعاني إنسانية عالية. والشعراء في المجتمع بصفتهم أناس ذوي طبائع حساسة وأحاسيس مرهفة قد تأثروا بتعاليم القرآن بشكل ملموس ومنذ نزول القرآن هناك شعراء كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة قد زينوا أشعارهم بآيات قرآنية منورة وكأنهم قد انبهروا بإشعارات الدعوة السامية وعشقوا مضامينها واقتبسوا من القرآن صوراً وأفكاراً واستعملوها في مختلف أغراض دعوتهم للتمسك بالدين والحفاظ عليه.

وبعد أن انتشرت الرسالة الإسلامية في أنحاء الجزيرة العربية اهتم الرسول الكريم ﷺ بالشعراء المناضلين لرفع راية الحق وكان يأنس لشعرهم البطولي ضد المشركين بقوله ﷺ "حسان أجهم ومعك روح القدس" (الأنصاري، ١٩٧٤م، ج ١: ١٤) كما كان يقول لكعب وعبدالله "جبريل لا يكون إلا مع الصالحين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً" (الجوري، ١٩٦٤م، ص ١٢٣) وكان الهداية والإيمان والنور قد دخلت في قلوب الشعراء وجعلتهم يتجهجون بهذا الدين المين والمعاني السامية في هذا الكتاب المقدس. وكان كل النعرات الجاهلية والعصبية القبلية التي كانت سائدة قد تبدلت إلى مفاهيم عالية وقيم سامية نادى بها الإسلام. فهذا ليبد بن ربيعة يهتف:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى كساني من الإسلام سربالا

(ابن ربيعة، ١٩٩٣م، ص ١٣٧)

ولا شك أن هذا التأثير بالقرآن الكريم الذي أشير إليه لا يقتصر على الشعراء في عصر النزول وصدر الإسلام بل يلاحظ اهتمام عظيم من جانب الشعراء بهذا الكتاب المقدس في العصور اللاحقة أيضاً كما يبدو الأمر واضحاً عند أبي تمام الشاعر الشهير في العصر العباسي إذ تأثر بالقرآن كثيراً كأنه خاص في الثقافة الإسلامية حيث نشاهد أن بعض الباحثين قد أعربوا عن تعجبهم لهذا التأثير الكبير، وكأن القرآن من أهم المصادر التي استقى منها أبوتمام ثقافته فقلما تخلو قصيدة من قصائده من لفظ قرآني أو صورة قرآنية. (انظر: الدراجي، ١٩٨٧م، ص ٦٢)

أما بالنسبة إلى العصر الحديث فيعتبر القرآن الكريم من أهم مصادر استلهام في الشعر، وكثير من الشعراء استلهموا من موضوعاته وشخصياته، وقد أشاروا إليها في أشعارهم وكان الشعراء مهما

استطاعوا أن يخلقوا في عوالم رحبة في الشعر بخيالهم المبدع فإنهم سوف يبقون أوفياء لرسالة القرآن الكريم كما أنشد محمد مهدي الجواهري لعظمة اللغة العربية و تشرفها بالقرآن الكريم :

الحمد لله الذي قد رمى
مدرسة الله أستاذها
ألسنة الناس بهذا اللسان
والضاد والنطق بها امتحان
شرفها قدراً بقرآنه
ذاك الذي عجز له الخافقان

(الجواهري، ١٩٧٣م، ج ٢: ٢٤٨)

هاتان الظاهرتان ؛ التأثر بالقرآن الكريم و الاستلهام منه ، أمر واضح في شعر الشعراء الفلسطينيين كأنهم وجدوا في القرآن الكريم ما يناسب بيانهم مما حلت بهم من المصائب و التشرذم . و اهتم هؤلاء بالمعاني و الموضوعات القرآنية مستخدمين ظاهرة التناص و من هذا المنطلق امتازت أشعارهم بصفات مميزة .

٢ - الشعر الفلسطيني المقاوم:

قد بدأ الشعر الفلسطيني المقاوم حياته منذ أواسط الستينات التي تعد من أوائل ظهور شعر التفعيلة (الشعر الحر) و يعتبر هذا الشعر رائداً في إبلاغ رسالة المقاومة الفلسطينية و ما حلت بالفلسطينيين من المشاكل المختلفة كفقذ الوطن و التشرذم و

إن ظهور الشعر المقاوم في الواقع هو تمهيد للتحويل الجديد في الشعر الفلسطيني و مجموعة الشعر العربي ، علماً بأن مفكري العرب قد تعرفوا على الشعر المقاوم ببركة كتاب غسان كنفاني (أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ١٩٤٨م ١٩٦٦م)

(أنظر: درويش، ١٩٧١م، ص ٢٠)

و للشعر المقاوم أهمية خاصة من جهات مختلفة :

الأولى : هي موضوعه ؛ لأن الموضوع الأساسي للشعر المقاوم هو تحرير أرض لها أهمية كبيرة جغرافياً و تاريخياً و ليست هذه الأهمية للشرقيين و المسلمين فحسب ، بل هي لكيل الأحرار لأن هذه الأرض تعد مركزاً و روية الحياة التاريخية لليهودية و المسيحية و الإسلام . لنرى ما صرح به محمود درويش : "إن أهمية شعرنا تكمن في النحام هذا الشعر بكل ذرة من تراب أرضنا الغالية بصخورها و وديانها و جبالها و أطلالها و انسانها الذي يظل مرفوع الرأس رغم ما ينوء به كتفاه من أعباء انسانها الذي قاوم و لا يزال يقاوم الظلم و الاضطهاد و محاولات طمس الكيان و الكرامة القومية و الإنسانية و كأني به يقول : اللهم لا أسئلك حملاً خفيفاً بل أسئلك ظهراً قوياً" . (المصدر نفسه، ص ٢٤)

و الثانية : يعتبر تطور شعر المقاومة الفلسطينية مرحلة جديدة بالدراسة في الشعر العربي المعاصر .

(انظر: كنجي، ١٣٧١هـ.ش، ص ٣)

إذاً فدراسة الشعر المقاوم أهمية كبيرة من أجل تحقيق آمال الأمة الفلسطينية المسلمة .

و خلاصة القول أن الأدب بكل مكوناته الشعرية و النثرية لم يكن بمنأى عن أجواء الانتفاضة و تجلياتها ، إذ يعتبر الأدب مرآة المجتمع الذي يعيش فيه الأديب ، و تمكن الأدب الفلسطيني من أن يجاري الواقع الفلسطيني و يصور هموم الأمة ، و مشاهد البطولة و الشهادة ، فكان أداة إيقاظ و تنوير ، عبر آثار الأدباء - الشعراء - و الكتاب - عن وجدان الناس إذ صوروا مسيرة نضالهم في سبيل الحرية و الاستقلال .

و في الوقت الذي فضح فيه الوجه البشع للكيان الصهيوني ، و سياساته التدميرية انتقد الأدب خاصة الشعر مفاسد الواقع ، و انحرافات القادة عن الهدف . و للتعبير عن مواقفهم و رؤاهم تعبيراً فنياً موفقاً ، فاهتدوا إلى استخدام مجموعة من وسائل التعبير الفنية الحديثة ، و توظيفها في البناء الفني لقصائدهم من :

لغة شعرية موحية، وصور فنية مذهشة، وإيقاعات نغمية ثرة، ومفارقات تصويرية، واستلهاهم معطيات التراث وعناصره وذلك من خلال ظاهرة التناص.

٣ - ظاهرة التناص:

انطلاقاً من المحاولات الحثيثة لعلمنة النصّ، و بعد أن تناول النقاد النص بمفهومه الجديد، كان لابد وأن يظهر مفهوم جديد يتصل بالنصّ ألا وهو "التناص". والتناص مصطلح من المصطلحات المستحدثة في الأدب والنقد.

وعلى الرغم من أن التناص يبدو مصطلحاً جديداً، فإنه في الواقع مفهوم قديم؛ ذلك أن من يتمعن في معجم النقد العربي القديم يعثر على أكثر من مصطلح يشير إلى عملية التداخل بين النص والنصوص الأخرى، مثل مصطلحات: "الاقْتِباس" و"التضمين"، و"السُرقة" و"الأخذ" وغيرها. فقد عرف النقاد العرب على سبيل المثال الاقتباس بقولهم: "أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن والحديث، ولا ينبه عليه للعلم به" وعرف آخرون التضمين بقولهم: "أن يضمن الشاعر شعره والناثر نثره كلاماً آخر لغيره قصداً للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود" (الجلي، ١٩٨٠م، ص ٢٦)

ومن الجلي أن "مصطلحي الاقتباس والتضمين وفق تعريفهما يتقاربان مع مفهوم التناص في صورته الحديثة التي ظهرت في الدراسات النقدية المعاصرة، ومن هنا يمكن للدارس أن يدرجهما في دائرة التناص الواسعة، وأن ينظر إليهما بوصفهما فكرتين تحملان الملمح القديم للمصطلح الحديث، وأنهما يعدان مظهراً من مظاهر تداخل النصوص وخاصة في الخطاب الشعري". (حمدان، ٢٠٠٦م، ص ٨١)

ويعود المصطلح لغويا إلى مادة "نصص"، حيث تنتمي جميع اشتقاقاتها إلى حقل دلالي واحد. ففي القاموس المحيط للفيروزآبادي: "تناص القوم، عند اجتماعهم". (الفيروزآبادي، ١٩٢٣م، ص ٣١٩ مادة "نصص")

ويلاحظ احتواء مادة "تناص" على "المفاعلة" بين طرف وأطراف آخر تقابله، يتقاطع معها ويتمايز أو تمايز هي في بعض الأحيان.

والتناص كمصطلح نقدي متنوع يندرج فيه كل ما يتعلق باستدعاء النصوص السابقة في النص اللاحق، وتعود ولادة هذا المصطلح إلى منتصف الستينيات من القرن العشرين في كتابات ميخائيل باختين الذي عني بالتناص: الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص أو لأجزاء من نصوص سابقة. تبلور موضوع التناص على يد جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) التي نظرت إلى النص الشعري بوصفه استلهاماً لنصوص سابقة، يعقد معها النص الجديد علاقة تبادل حوارية، أو هو: لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، إذ يعتبر كل نص أدبي متأثر بنص أدبي قد سبقه. (انظر: بنيس، ١٩٩٧م، ج ٣: ١٨٣)

إذن كل نص هو نتيجة لتجمع العديد من النصوص ولأن الكاتب في أصله قارئ ظل يمارس فعل القراءة ويخترن في ذاكرته ما لا يحصى من النصوص والأفكار التي تدل على اتساع آفاقه وخلفياته التاريخية والثقافية التي يستحضرها في كل قراءة ومحاولة تسخيرها في انفتاح الدلالة.

و"التناص" بمعنى تداخل النصوص وتفاعلها من الظواهر التي تتسم بها النصوص الأدبية المنتجة بعامة، فالنص لا بد له بصورة أو أخرى من أن يتفاعل مع غيره من النصوص الأخرى؛ لإنتاج نصّ أدبي جديد، يستقي أشياء كثيرة من تجربة الشاعر الذاتية، تنضاف إليها التناصات المقتبسة عمداً أو عفواً. فالتناص عبارة عن حدوث علاقة تفاعلية بين نص سابق ونص حاضر؛ لإنتاج نص لاحق". (حمدان، ٢٠٠٦م، ص ٨٤)

يبدو ألا بد من وجود تفاعل بين النصوص في كتابة أدباء و هذا الأمر يؤدي إلى ظهور نصّ جديد، هو نتاج هذه العلاقة بين النصّ الحاضر و السابق.

و قيل: "إن التناص تقنيّة من تقنيات الكتابة التي يلجأ إليها المؤلف، إما لإكمال نقص أو عجز فكري أو لغوي، و إما بهدف مقصود هو نقل القارئ من زمان لآخر و من مكان لآخر بغية زيادة لهفته و تعطشه لاستقاء المعنى الذي يتزايد و يتعدد بفعل ذلك الانتقال، فالنصوص الأدبية منسوجة من نصوص و أعمال كتابية أخرى، و حتى الأجناس الأدبية كذلك باتت تأخذ من بعضها البعض، فالأدب كله متناص". (تاويريت، ٢٠٠٨م، ص ٦١)

و هناك تقسيمات مختلفة لهذه الظاهرة كتقسيمه إلى "الامتصاص" و "الاجترار" و "الحوار"، و هذا التقسيم ينسب إلى كريستفيا. (انظر: رستم پور، ١٣٨٤هـ.ش، ص ١٧) و هناك تقسيم آخر للتناص حسب توظيفه في النصوص و هو التناص الظاهر و التناص الخفاء، الأول (التناص الظاهر) الذي يدخل ضمنه "الاقتباس" و "التضمين" و الثاني (التناص الخفاء) الذي يكون المؤلف فيه غير واع بحضور النصّ أو النصوص الأخرى في نصه الذي يكتبه. (انظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها)

أما التناص مع النصّ القرآني الذي نحن بصدد دراسته في أشعار سميح القاسم فيعتبر من نوع التناص الديني و هو تداخل النصوص الدينية، و يقصد به تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق "الاقتباس" أو "التضمين" من القرآن الكريم أو الحديث الشريف مع النصّ الأصلي للقصيدة بحيث تتسجم هذه النصوص مع السياق الشعري، و تؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً أو كليهما معاً. (انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها).

٤ - نظرة موجزة إلى حياة سميح القاسم:

بما أن ظروف الحياة الشخصية و الإجتماعية لأديب ما قد تؤثر على خلق آثاره الأدبية، فلا شك أنّ الإشارة إلى حياة الشاعر "سميح القاسم" لا تخلو من فائدة و إن كانت بصورة موجزة.

٤.١. سميح القاسم:

ولد سميح القاسم، الشاعر الفلسطيني الكبير الذي ما يزال يفيض بالشعر و الإنتاج الأدبي، عام ١٩٣٩م لعائلة درزية فلسطينية في مدينة الزرقاء الأردنية. أنهى دراسته الابتدائية في الرامة في مدرسة دير اللاتين و في المدرسة الحكومية و أكمل دراسته الثانوية في كلية تيرسانطة و في المدرسة البلدية في الناصرة، و درس الفلسفة و الإقتصاد السياسي لمدة سنة في موسكو، و بعد تخرجه عمل في التعليم لمدة خمس سنوات ثم انصرف بعدها إلى نشاطه السياسي في الحزب الشيوعي الإسرائيلي. و عمل في الصحافة مع مجلة أسبوعية. (www.aklaam.com) و بعدها انتقل للعمل في تحرير مجلة "الغد" و جريدة "الإتحاد"، ثم ترأس اتحاد الكتاب العرب و اتحاد الكتاب العرب الفلسطينيين في إسرائيل منذ تأسيسها و هو اليوم رئيس مجلس إدارة تحرير صحيفة "كل العرب" الصادرة في الناصرة. (www.sofne.com)

إن الجو الثقافي الذي نشأ فيه سميح القاسم أسهم إسهاماً كبيراً في بلورة ثقافته العربية و نزعتة التقديمية، لأنه من أسرة آل حسين و هذه الأسرة معروفة بميلها الشديد للثقافة. (انظر: صدوق، ٢٠٠٠م، ص ٣١٥) كان سميح القاسم مثل بقية الشباب الفلسطينيين يقوم بأعمال دبلوماسية و لم يكن أعمى تجاه المسائل السياسية لوطنه بل حاول أن يستخدم مقدراته و موهبته في أيام شبابه، فأسس منظمة الشبان الدرروز الأحرار في الخمسينات للتصدي لقانون التجنيد الإلزامي الذي فرض على أبناء الطائفة العربية الدرزية و على الشركس و البدو مستهدفاً تمزيق جماهير الشعب العربي الباقي على تراب وطنه تحت الحكم الإسرائيلي، و هذا الأمر أثار عليه حفيظة السلطات العسكرية فاعتقلته و ساقته مكبلاً. (انظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها)

و بعد أن سجن الشاعر أكثر من مرة بسبب نشاطه السياسي و مقاومته الصلبة أمام الإحتلال الصهيوني مثلا عام ١٩٦١م و عام ١٩٦٧م في حرب حزيران ، وضع رهن الإقامة الجبرية و الإعتقال المنزلي و طرد من عمله. (أنظر: الخضراء الجيوسي، ٢٠٠٠م، ص ٣٨٧)، و لكن هذا الظلم من جانب الإسرائيليين أثار في نفسه روح المقاومة ضد الصهاينة و كرس معظم أشعاره للثورة الفلسطينية. و الروح الحماسية و الثورية واضحة في أشعاره، متمثلة في أبياته كأنه في كل كلمة من أشعاره يريد إدانة إسرائيل و تهيج العرب ضد الصهاينة، إذ أنه يعتبر إسرائيل حالة تاريخية طارئة على المنطق.

إن سميح يؤكد على أنه غير مغادر لبيته الصغير على سفوح جبل حيدر في "الجليل" تمسكاً بنبوءة و وعود أجداده بأن الحياة و الموت تتوقف في هذا المكان (www.sofnet.com). و فيما يتعلق بالمفاهيم الدينية و انعكاسها على أشعار سميح القاسم خاصة أنه يمتد من أصول درزية، أكد الشاعر أنه ليس قبلياً و ليس من الجاهليين الجدد رغم اعتزازه بعائلته العريقة و الكريمة و ذات التاريخ المشرف حسب وصفه. (www.aljareeda.com)

أصدر الشاعر دواوين شعرية منها: مواكب الشمس (١٩٥٨م)، أغاني الدروب (١٩٦٤م)، دخان البراكين (١٩٦٨م)، سقوط الأفعنة (١٩٦٩م)، قرآن الموت و الياسمين (١٩٧١م)، الموت الكبير (١٩٧٢م)، و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم (١٩٧١م)، الكتب السبعة / شعر (١٩٩٤م)، سأخرج من صورتي ذات يوم (٢٠٠٠م) و.... (انظر: معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ١٩٩٥م، ج ٢: ٢٥٥).

و له أعمال نثرية مختلفة من القصة و الرواية و المسرحية. إنه في معظم قصائده و أعماله النثرية، يركز على بيان المأساة الموجودة في فلسطين و المصيبة العظيمة التي حلت بالعرب. من أشهر أعماله النثرية هي: الصورة الأخيرة في الألبوم (١٩٨٠م)، الرسائل / بالاشتراك مع محمود درويش (١٩٨٩م)، مطالع من أنطولوجيا الشعر الفلسطيني في ألف عام / بحث و توثيق (١٩٩٠م) و.... (www.jehat.com) و له بعض أعمال مسرحية منها: قرقاش (١٩٧٠م)، المغتصبة و مسرحيات أخرى (١٩٧٨م) و.... (المصدر نفسه)

٥ - التنصص القرآني في شعر سميح القاسم:

استلهم الشاعر، سميح القاسم، من القرآن الكريم في أشعاره مع الالتفات إلى مجالين إثنين: المجال الأول هو المفردات و العبارات و المجال الثاني هو الشخصيات القرآنية.

٥.١. تنصص المفردات و العبارات القرآنية:

يقتبس سميح القاسم ألفاظاً من القرآن الكريم لتجسيد الصورة الشعرية و ذلك لإضافتها على تلك الصورة مزيداً من الواقعية، و جعلها أشد أثراً و أعمق نفوذاً، إذ تصطبغ المعاني بدلالة تتسم بالوضوح و الدقة. يقول في قصيدة "نشيد الأنبياء":

ما الحشر المباغت؟

ما "سقر"؟

لا بد أن أمضي

عذابي و ردة

و فمي حجر (القاسم، ١٩٩١م، ج ٣: ١٤٨)

و يقتبس مرة أخرى و يقول:

جالد إذا أفلحت، منتزعاً خطاك من الوحول الداميات

و عد إلى فردوسك المهجور

للجنات تجري تحتها

الأنهار، للقصر الكبير (القاسم، ١٩٩١م، ج ٤: ٢٢)

سميح هنا يخاطب الفلسطيني قائلاً: اتركهم في ظلالهم حتى يومهم الأخير، و خلص نفسك من المخاطر التي تحف بك ثم عد إلى فردوسك و جنتك المهجورة. فقد اقتبس الشاعر "للجنات تجري تحتها الأنهار" من الآية الكريمة ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِيَ رَبُّهُ ﴾ (سورة البينة، ٨) و هذه الآية تكرر معناها في سور القرآن الكريم ففي موقع آخر قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ (سورة البروج، ١١)

و في اطار الصورة الشعرية السابقة يتساءل سميح ما الحشر المباغت؟ ما سقر؟ مستخدماً الألفاظ القرآنية لتعطي دلالات و إيحاءات بأن عذابه و آلامه صورة تناقضية، فهي جنة و رضوان من جهة و حشر و سقر من جهة أخرى فعذابه وردة و فمه حجر. اقتبس سميح كلمتي "حشر" و "سقر" من قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: اَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ ﴾ (سورة الحشر، ٢) و ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (سورة المدثر، ٤٢)

الشاعر سميح القاسم يوظف التناص القرآني ضمن نصه الشعري عندما يقول:

أنت يا مولاي رحمن رحيم

و الذي يغضب من عدلك يا مولاي

شيطان رجيم (القاسم، ١٩٨٧م، ص ٤٦٢)

كأن الشاعر يريد بيان رضاه بالقضاء المقدر من جانب الله تعالى، و أن ما حلت بهم هو من العدل الإلهي و لا قدرة لأحد أن يعصي الله و يغضب من عدله، إذ سيصبح كالشيطان الرجيم مغضوباً. و الشاعر هنا يشير إلى الصفتين العظيمتين لله تعالى و هما الرحمانية و الرحيمية، و كأنه يشعر مع كل وجوده بفضل الله و رحمته عليه و على الجميع. هذه السطور تذكر القارئ بالآية الكريمة ﴿ يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّجِيمَ ﴾ و تذكره بأمر الله للاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَلْشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (سورة النحل، ٩٨) و يلمح الشاعر أيضاً بقصة عصيان الشيطان لله تعالى عندما رفض أن يسجد لآدم فأصبح رجيماً كما أشار الله في كتابه الكريم إلى هذه الغطرسة، إذ يقول عز و جل:

﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ (سورة الحجر، ٣٤).

و في قول الشاعر في قصيدته باسم "البحث عن الجنة":

مأساتك السوداء كانت منذ قال الله: فليكن الوجود

و كان... ثم بدا له أن يصنع الشمس اللعينة و الحياة

(القاسم، ١٩٨٧م، ص ٣٠٦)

في الحقيقة أشار إلى الشقاء الذي ما زال يرافق الإنسان من الأزل و قارئ هذه السطور يتذكر الآيات القرآنية التي تشير إلى خلق الكون، و كيف تجلّى الكون بأمر الله سبحانه، و لعل الشاعر يرمز بأن في فقد آدم عليه السلام الجنة مصيبة خالدة عظيمة لبني آدم، و هكذا الفلسطيني قد قدر له من الأزل أن يفقد جنته - وطنه

. . و الشاعر يشير إلى هذه النقطة، إذ أن من يبحث عن وطنه عليه ألا يغفل و ألا يتتابه النوم وإن كانت هذه المأساة مقدره له منذ بداية الخلق و في الحقيقة يريد الشاعر تقوية روح المقاومة في مواطنيه.

و في موقع آخر يقتبس القاسم قول الله عز وجل: ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ (سورة الفجر، ٧) في قصيدة "أناذي الموت"، حيث يقول:

أبدأ تجذب وجهي بالنداءات الخفية

لمكان خلف أسوار الشقاء

فيه شيدت قصوري الذهبية

إرمي ذات العماد

إرمي ... أمنحها من كل قلبي للعباد

(القاسم، ١٩٩١م، ج١: ٣٠٥)

تعكس الصورة الشعرية هنا روافد دلالية و معاني ممتدة لا تقتصر على دلالة واحدة، منسجماً في ذلك مع ما ذهب إليه الجاحظ حيث يقول: "ثم اعلم أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسطة إلى غير غاية، و ممتدة إلى غير نهاية، و أسماء المعاني مقصورة معدودة و محصلة محدودة". (الجاحظ، د.ت، ص٧٦)

و في قصيدة "ذات العماد" استوحى القاسم الدلالة القرآنية لتعطي ظلالاً بعيدة للمعاني و إضاءة للقصيدة، و ذلك حيث اقتبس النص القرآني ﴿إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ (سورة الفجر، ٧) و ذات العماد زيادة تعريف بـ "عاد" أي من قوم عاد الذين كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، و كانوا أشد الناس خلقاً و أقواهم بطشا و قد ذكرهم هود النبي ﷺ بنعم الله تعالى و أرشدهم إلى استخدامها في طاعة الله جل و علا. و "ذات العماد" في القصيدة أعطت دلالة إيجابية تنسجم مع الدلالة القرآنية، فالشاعر حزين حيث القتلى و الدماء و هناك خلف أسواره الشقية أي في وطنه شيدت القصور الذهبية، فعاد الأولى كانوا يتمتعون بالنعمة، و عاد الثانية التي أرادها الشاعر هي المدينة الفاضلة التي يحلم بها.

الشاعر عندما يصف لنا أغانيه و أشعاره يبين لنا أن هذه الأغاني من الدموع التي طهرتها روح الربّ و كأنه يريد بيان ما يجول في قلب الفلسطيني من الحزن و الآلام:

من دموع طهرتها روح رب

(القاسم، ١٩٨٧م، ص٣٨)

كأن هذا المفهوم قد أخذه الشاعر من القرآن و من الآية الكريمة ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (سورة الحجر، ٢٩).

و قارئ هذه السطور:

سبحان الواضع قدرته في خشب العود

الله .. الله؟؟؟....

سبحان الواضع قدرته فينا

(القاسم، ١٩٨٧م، ص١٧٥)

تتداعى للقارئ هذه الآيات ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة يس، ٣٦ و ٨٣) و كأن الشاعر يجسم للقارئ كل ما يجيش في صدر الفلسطينيين بالنسبة إلى الوطن العزيز، الوطن الذي

يأمل كل فلسطيني أن يعود إليه ويتخلص بذلك من الغربة وهذا الأمر يتطلب منه أن يحتفظ بالقدرة و الإيمان كي يستطيع المقاومة أمام الأعداء.

قال سميح القاسم:
أرضنا،
من غسل - يحكي - بها الأنهار - يحكي -
من حليب

(القاسم، ١٩٨٧م، ص ٦٤)

إن الشاعر في كثير من أشعاره حول الأرض المقدسة لا يرضي بتوصيفها أقل من الجنة، الأرض التي هي جنته المفقودة، الأرض التي تجري فيها أنهار من العسل و اللبن، الأرض التي كانت مهبط الأنبياء و الملائكة و كأنه يريد الإشارة إلى فداسة هذه الأرض و يريد أن يذكر الحياة الرغيدة التي كانت للفلسطينيين قبل الاحتلال الصهيوني، و كذا يريد تأجيج نار الحزن الذي ليس في قلبه فقط بل في قلب كل الفلسطينيين و كل العاشقين لهذه الأرض المقدسة، و يدعوهم إلى المقاومة أمام غاصبي هذه الجنة.

كما يلاحظ في السطور المذكورة، أن الشاعر قد استلهم في تصوير الوطن من الآيات القرآنية في وصف الجنة و يذكر القارئ بهذه الآيات الكريمة: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ. وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنَ رَبِّهِمْ﴾ (سورة محمد، ١٥)

و قارئ هذه السطور:

من قديم الزمان

أسرجوا الصافنات الجياد

(القاسم، ١٩٨٧م، ص ٤١٢)

التي أشار الشاعر فيها إلى الصراع القديم بين الحق و الباطل يذكر بهذه الآية الكريمة: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ (سورة ص، ٣١)

و يصور الشاعر في إحدى قصائده باسم "رسالة إلى الله"، جميع أحزانه و آلامه، عندما يقول:
عفوك اللهم إن كان حروفي مستفزه
أنا انسان من الطين
أنا الخاطئ مذ كنت
و مولاي المنزه !!!

(القاسم، ١٩٨٧م، ص ٦٥)

إن القارئ يتذكر الآيات التي تدور موضوعه حول خلق الله تعالى الإنسان من طين مثل هذه الآيات: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (سورة السجدة، ٧) و ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ﴾ (سورة الانعام، ٢).

و كذا قول الشاعر في قصيدته:

علموني أنه سبحانه يحبي و يفني ما يشاء

(القاسم، ١٩٨٧، ص ٢٣٨)

في الحقيقة يريد الشاعر أن ينوه بما استوعبه من مفاهيم دينية، و لعله يريد أن يذكر القارئ بهذه الآية:

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (سورة يونس، ٥٦)

و كذا قول الشاعر :
كان إذا نشنش ضوء
على حواشي الليل... يوقظ النهار
ويرفع الصلاة
في هيكل الخضرة، والمياه، و الثمر
فيسجد الشجر
وينصت الحجر

(القاسم، ١٩٨٧م، ص ٥٣)

فالشاعر استخدم ظاهرة "التناص" في عبارته (فيسجد الشجر) من الآية الكريمة ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ (سورة الرحمن، ٦) ولعله أراد أن يشير إلى الصلح و الأمن الحاكمين على الأرض المقدسة قبل الاحتلال، وكأن الأشجار كانت ساجدة و الشجر كان يصغي إلى ما يقال و ما يدور بين الناس. و لعل الشاعر أراد أن يبين أن الحجر اليوم له دور متميز، هذا الحجر الذي يستخدمه الشباب الفلسطينيون سلاحاً لهم أمام الأعداء و يرمونه بكل غضب، و كأن الحجر يحمل كل حقد الفلسطينيين إلى الأعداء .
و في قصيدة "الوصول إلى جبل النار" أي إلى مدينة نابلس، يصور الشاعر معاناة طلاب المدارس و العمال و المتقنين الفلسطينيين الذين واجهوا الاحتلال، و حين دبت المجنزرات و سحقت الأجساد، و اختلط الدم بالدم و دوت الصرخة و زلزلت الأرض و أيقظت الأم طفلها، يقول سميح :

إلى جبل النار - من مرشدي ؟

و دبت علينا مجنزرة، سحقت بعض أقدامنا

اختلط الدم بالدم، ما عدت أعرف جرحي من جرحهم

دوت الصرخة القانية :

"وقوفاً" !

و زلزلت الأرض زلزالها

(القاسم، ١٩٩١م، ج ٢: ٣٢٠)

اقتبس سميح في هذا النص من الآية القرآنية ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (سورة الزلزلة، ١) دلالة على هول المحتل و رعبه، و سحقه الناس كيوم القيامة، حينما تهتز الأرض و تنزل، و تخرج ما في باطنها من الأجداث فالجامع بين الدالتين هو الصورة المروعة المرعبة.
الشاعر يصف صفوف العدو المنهزمة :

وانهاروا عنها منفوشاً (القاسم، ١٩٨٧م، ص ٣٤٥)

لا شك أن الشاعر اقتبس هذه العبارة من القرآن الكريم : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ

الْمَنْفُوشِ﴾ (سورة القارعة، ٥)

و ما أجمل ما قال الشاعر في إحدى قصائده ! :

أعطيني قبلة ميلادي

ولتكن الليلة برداً و سلاماً

(القاسم، ١٩٨٧م، ص ١٨٥)

و إن كان مضمون هذه الكلمات غزلية لكنها تذكرنا بآية قرآنية. لعل الشاعر يريد أن يشير إلى المحبوب و هو الوطن عندما يأتي بكلمة "قبلة" و يتمنى الوصال، و أراد تبديل ليلة مظلمة كنار محرقة إلى برد و سلام و

هذا التحول أي تحوّل النار إلى برد و سلام يذكر القارئ قصّة ابراهيم عليه السلام الذي ألقى في نار نمرود و أصبحت النار له بردا و سلاما بإذن الله تعالى. (سورة الأنبياء، ٦٩)
و نرى أيضاً في آثار الشاعر اقتباسات من آيات القرآن الكريم كعناوين لدواوين شعره:
(و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم) و عنوان القصيدة (ما تيسر من سورة السلاسل، ٥٥٣/١) (و حكمة الموتى لنا .. و لجيدنا .. حبل المسد، ٣/٣٦٧)، (اعتصم بالله و الشعب القدير لا بأس بستاناً تصير، ٥١٦/٣).

٥.٢. تناص الشخصيات القرآنية:

من مظاهر التناص القرآني في شعر الشعراء الفلسطينيين هو استدعاء الشخصيات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، و الشاعر سميح القاسم استلهم من هذه الشخصيات لبيان مأساة الاحتلال و كذا ما يعانونه من ظلم و تعسف حلّت بالفلسطينيين.

٥.٢.١. هابيل وقابيل:

من الشخصيات القرآنية التي يستدعيها الشعراء في أشعارهم هي شخصية "هابيل" و "قابيل"؛ إذ تعتبر حادثة قتل قابيل أخاه هابيل رمز الخطيئة التي مارسها الإنسان ضد أخيه و رمز الشر الذي لا يزال يعاني منه الإنسان إذ قام الشعراء المعاصرون بتصوير هذه الحادثة التي تدل على شناعة قتل الصهانية الشعب الفلسطيني الأبرياء" (رستم بور، ١٣٨٤ هـ. ش، ص ٢٥) و الشاعر سميح القاسم استخدم لفظ "قايين" رمزاً للحكام الظالمين و المستبدين إذ يقول:

دوري مع الأعصار ! يا قطعان ! ضيعك الرعاة !

و ابكي ريباً مات ... مات !!

من يوم شاء الله أن تهوى يدا قايين،

قاتلتين، غائستين في الدم، في الحياة

و يروح يصرخ من وراء السدل

في عسف الطّغاة.... الأغبياء من الطّغاة

- قايين! يا قايين ! أين مضت بهابيل خطاه ؟ !!

إذهب ! يرافقتك الشقاء.... جزاء فعلتلك الحرام!

قدر عليك السهد و الألم المبرح و السقام

(القاسم، ١٩٩١ م، ج ٤ : ١٨)

كأنه يشير في هذه السطور إلى ما حلّ بالفلسطينيين من مصائب و بلايا و تشرد. و الجدير بالذكر أن هذه القصة قد ذكرت في التوراة أيضاً، و سمح قد وُظف هذه القصة - قصة قايين و أخيه هابيل حيث تنازعا على فتاتهما - مشكلاً درامياً فانقلبت الصورة الموميائية إلى صورة حية لها الحيوية و الحركة، و استخدم سمح القاسم الدلالة العميقة في تصوير لوحته الشعرية حيث أعطت الدلالة ممثلة في الصراع اليهودي و الفلسطيني على ملكية الأرض، و كان من جراء هذا النزاع استقرار المحتل و تشرد الفلسطينيين إما في المنفى أو في السجن.

٥.٢.٢. النبي آدم عليه السلام:

إن النبي آدم عليه السلام هو أبو البشر و يمثل في الحقيقة بداية الخلق البشري، لنرى سمح القاسم في قصيدته "الخطيئة و الوثن" عندما يريد الإشارة إلى المدة الطويلة لزم الاحتلال و كذا عندما يريد أن يبين حزنه للقارئ يشير إلى زمن آدم عليه السلام و يذكر في السطور اللاحقة الخطيئة التي ارتكبها آدم إذ أدت هذه الخطيئة إلى

خروجه من الجنة، و لعل طرد آدم من الجنة يشبه طرد الفلسطينيين من الوطن الذي يشبه الجنة عندهم، و تشردهم و عليهم أن يقاوموا أمام الأعداء الغاصبين حتى بذل مهجتهم:

دوري مع الأعصار! يا قطعان! ضيعك الرعاة!

وابكي ربيعا مات... مات!

و تهيأي للمسلخ المشؤوم تهدر فيه زاكية الدماء...

من القرون الخاليات!

من يوم أنشب آدم المغدور في حواء ناباً

... و يهز صوت الله اركان الوجود:

- اليوم تفقد جنتي! فاخرج يرافك الشقاء

(القاسم، ١٩٨٧م، ص ٣١٢)

هذه السطور تذكرنا بالآيات القرآنية التي وردت فيها قصة آدم عليه السلام و خروجه من الجنة و يذكر سميح صفة "المغدور" لآدم و فيه إشارة أن الشيطان قد غدر آدم في الجنة. (سورة البقرة، ٣١-٣٧)

٥.٢.٣. النبي نوح عليه السلام:

وظف سميح القاسم كسائر الشعراء الفلسطينيين قصّة نوح النبي عليه السلام ذات الدلالات المتنوّعة في شعره، لما في هذه القصة من عبر للبشرية جمعاء، فابتعاد نوح النبي عليه السلام عن وطنه و استقراره في السفينة لفترة خاصة حتى استقرت على الجودي، فهي تتناسب مع ما يعانيه الشعب الفلسطيني في أزمته مع الصهاينة.

"استدعي الشعراء النبي نوح عليه السلام بصور و دلالات متعددة فوظفوا هذه الشخصية إما من خلال رمز الحمامة البشارة وجاءت إلى نوح بورق زيتون بمنقارها و طين برجلها فعلم أن الطوفان قد انتهى فاستوى بسفينته على الجودي".

(رستم پور، ١٣٨٤هـ.ش، ص ٢٨)

سميح قد أشار إلى تلك الحمامة في هذه السطور إذ يقول:

أصبح اليوم حمامة

حملت قصفة زيتون.. و طارت..

في بلاد الله.. جبريلاً.. بشيراً بالسلامة!!!

(القاسم، ١٩٨٧م، ص ٥١٦)

يبدو أن الشاعر لا يفكر في شيء إلا حكم الصلح و الأمن و الطمأنينة في أرضه، و كأنه يرى يوماً قد زال فيه كل ظلم و جور، و انهار الظالمون و هلك فيه الجبارون القساة و كما أن سفينة نوح عليه السلام وصلت إلى ساحل النجاة و الأمن و رست فيه و نجى المؤمنون من الطوفان العاصب فسيأتي اليوم الذي يسكن فيه الفلسطينيون المضطهدون أرضهم المقدسة بكل أمن و طمأنينة.

الشاعر المناضل سميح القاسم قد وظف شخصية نوح عليه السلام في السطور الآتية لبيان مضي مدة طويلة و

زمن بعيد و يقول:

من عهد نوح آمنت بوجهنا

من عهد نوح!

رضيت برواد القبائل

من عهد نوح!

رضيت بفرغرة الجلالل

من عهد نوح!

رضيت برنات المعاول

من عهد نوح ! (القاسم، ١٩٨٧م، ص ٢٥٣)

٥.٢.٤ النبي موسى عليه السلام :

النبي الذي كلمه الله تعالى من شجرة و أرسله إلى بني اسرائيل ليهديهم إلى الصراط المستقيم. يشير سميح في قصيدة "أبطال الراية" إلى قصة موسى عليه السلام عندما رأى ناراً و ذهب كي يأتي بقبس منها و هناك سمع صوتاً من جانب الله تعالى. يقول الشاعر مخاطباً النبي موسى عليه السلام :

أنست ناراً ضوأت سينا ! ثم سمعت

قل .. ماذا سمعت ؟ سمعت صوت الله

يا موسى .. فبشر في البرية ! (القاسم، ١٩٨٧م، ص ٣١٩)

و فيها اقتباس من القرآن الكريم: ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ (سورة طه، ١٠) و ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِ كَرْمِيكَمْ مِنْهَا حَبِيرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (سورة النمل، ٧)

و قال أيضاً مشيراً إلى الألواح و العجل و هذان يتعلقان بقصة النبي موسى عليه السلام :

ألواحك الآجر تغري النمل و الديدان

و الإبريز في العجل المدلل يخطف الأبصار

يقذف بالعقول الدكن في دوامة غضبي دجية !

(القاسم، ١٩٨٧م، ص ٣١٨)

و قضية العجل الذهبي الذي صنعه السامري في غياب موسى عليه السلام معروفة و قد وردت في القرآن الكريم: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ (سورة طه، ٨٨) و ﴿ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (سورة الأعراف، ١٤٨) و الله تعالى في كثير من الآيات الكريمة قد لام هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلهاً لهم بعد أن جاءتهم البينات، كسورة (سورة البقرة، ٩٢) إذ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾. و في قصيدة أخرى باسم "كذب السحر" الشاعر يكذب السحر لأن غضبه لا يهدأ، و لا يصمت عندما يقول:

أبصر في ما أبصر

فرسانك الأحرار

ضرب البحر الصاخب بعصاه السحرية

فانشق البحر

ألقي في القوم عصاه فصارت أفعى

تلوي و تفح و تسعى

سحر ؟ (القاسم، ١٩٩١م، ج ٢: ٥٥٢)

فالشاعر هنا يشير إلى خروج بني اسرائيل من مصر، و غرق فرعون و قصة السحر و السحرة، و فيها إشارة إلى الآيات القرآنية التي اقتبس منها بعض الألفاظ إضافة إلى المعنى، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَىٰ مَنْ أَلْقَىٰ ۗ قَالَ بَلْ أَلْقَوُا فَإِذَا جَاهُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَىٰ ﴾ (سورة طه، ٦٥ و ٦٦) فسميح القاسم اقتبس الكلمات القرآنية (الساحر، عصا، انشق البحر، تسعى) التي وردت في النص القرآني، هناك سحر أمام عصا موسى بإيحاء من الله فأصبحت حية تسعى تبتلع الحبال و العصي حتى لم تبق منها شيئاً إلا و ابتلعت و السحرة ينظرون إلى ذلك المشهد الفريد من نوعه و قد تجلّى لهم أنه إعجاز، أما في نص سميح القاسم فهناك تطابق، ثم هناك انحراف في عدم تصديقه للسحر من خلال تكرار الشاعر لعبارة "كذب السحر" ثلاث مرات.

٥.٢.٥. النبي عيسى بن مريم عليه السلام:

إن شعراء كثيرين أشاروا إلى هذه الشخصية و استدعوا في أشعارهم، و استقرّ توظيف هائل لها لما يتعلق بالحياة و تعاليم المسيح و صلبه، كأن محاورة المسيح تبدو سهلة كما أن الفنانين استطاعوا أن يصوروا المسيح أشقر، أسمر، أو أسود. (انظر: رستم پور، ١٣٨٤هـ.ش، ص ٣٢)

سميح القاسم استخدم في كثير من أشعاره هذه الشخصية القرآنية و الموضوعات التي تتعلق بها، إنه يلمح و يشير إلى عقيدة سائدة بين المسيحيين بأن المسيح عليه السلام صلب و قتل لكي يغفر جميع الذنوب و كأن المسيح عليه السلام تحمل كل الذنوب من أجل الناس، و هذا الموضوع نجده جلياً في سطور من قصيدة باسم "رسالة إلى الله" إذ يخاطب الشاعر رب العالمين بقوله:

أرضنا من غسل - يحكى - بها الأنهار - يحكى -
من حليب

أنجبت - يحكى - كبار الأنبياء

و عشقناها

و لكننا انتهينا في هواننا أشقياء

و حملنا كل آلام الصليب

يا أبانا، كيف ترضى لبنيك البسطاء

دون ذنب - كل آلام الصليب ! ! (القاسم، ١٩٨٧م، ص ٦٥)

و في الحقيقة سميح أراد أن يشير إلى مدى الحزن و الأسى و الغم الذي انتاب الفلسطينيين إذ هم تحملوا كل ذلك و كذا تشردهم و فقدهم الأرض. إن سميح في قصيدة أخرى يشير إلى المصائب و المحن التي ابتلى بها المسيح عليه السلام أيضاً و جروحته التي لا تندمل بقوله:

فليس من تلميذك المعهود

ليس سوي مسوح

فارحم جراحك يا مسيح (القاسم، ١٩٨٧م، ص ٣٢١)

و الشاعر كذلك يشير في كثير من أشعاره إلى حالة المسيح عليه السلام مصلوباً و يستخدم كلمات "صليب" و "مصلوب" و منها قوله:

قدما قدما

يا شعباً في كويبا

ما عاد مسيحاً مصلوباً

(القاسم، ١٩٨٧م، ص ٣٢١)

وهذه العقيدة تختلف عما جاء في القرآن الكريم بشأن المسيح ﷺ، إذ يرد القرآن قول المسيحيين بأن المسيح قتل مصلوباً في قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (سورة النساء، ١٥٧)

و الجدير بالذكر أن سميح اختار عنوان " وما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم " لأحد دواوينه.

٥.٢.٦. يعقوب ويوسف ﷺ :

هذان النبيان الكرمان ﷺ عند الأدياء رمز للفراق والوصال، إذ تشكل قصة النبي يوسف ﷺ بكل أحداثها مادة غنية في الشعر العربي المعاصر.

سميح أشار إلى قصة يوسف ﷺ في بعض قصائده، وقد التحمت هذه القصة بتجربة الشاعر الشعرية، وتحولت إلى دلالة رمزية للواقع الفلسطيني، إذ قام من خلالها بتجسيد هموم الفلسطينيين وأحزانهم، فالشاعر اختار عنوان قصيدته هذه "يوسف" وشرح فيها الحزن المؤلم ليعقوب النبي ﷺ في فراق ولده يوسف ﷺ وقد أشار إلى عودة يوسف إلى كنف أبيه بكل فرح و سرور، عندما يقول:

أحبابي! أحيائي!

إذا حنت علي الرياح

وقالت مرة: ماذا يريد سميح؟

وشاءت أن تزودكم بأنبائي..

فمروا لي بخيمة شيخنا يعقوب

وقولوا: إنني من بعد لثم يديه عن بعد

أبشره.....أبشره....

بعودة يوسف المحبوب!

فإن الله والإنسان....

في الدنيا على وعد !!!

(القاسم، ١٩٨٧م، ص ٥٩٤)

و كأن الشاعر أراد أن يقول كما أن يوسف عاد إلى حضن أبيه سيعود أبناء هذه الأرض المقدسة إلى حضنها الحار و سيبدأون الحياة بكل سرور و اشتياق. إذا فالفلسطيني لا بد له من المقاومة و عليه ألا يسمح لليأس أن يدب في نفسه و يحتفظ بكل آماله و طموحاته حتى الوصول إليها، و يشير الشاعر أيضاً إلى وعد الله سبحانه و المؤمنين و الصابرين بالظفر. و أن الشباب الفلسطينيين و هم مؤمنون حقاً بقضيتهم هم الغالبون، و ما النصر إلا من عند الله العزيز القدير. و يلاحظ أن كلمات الأمل و الرجاء و التي تنوه بهذا المضمون توج في القصيدة، مثل "أبشره".

واستلهم الشاعر من قصة يوسف ﷺ في قصيدة أخرى، عندما أقبل عليه إخوته فعرفهم و هم له منكرون، و طلب منهم أن يأتوا بأخيهم الأصغر و قد شرط عليهم إذا لم يأتوا به فلا كيل لهم، إذ اقتبس الشاعر بعض الآيات كاملة من سورة يوسف، فقصة يوسف و إخوته أثار تظلالاً للنص الشعري، و أوجدت علائق عميقة بين ما هو فيه و ما جرى ليوسف و يعقوب ﷺ.

فشاعرنا سميح القاسم في أجواء القصيدة يصور لنا حالته النفسية و كيف أنه منبوذ من قبل مجتمعه، و عندما يشم تراب الوطن تتداعى له تلك التأملات التي كانت تتاب جده، و عندها يحمل الريباب ليعزف بها، و إذا بالريباب تعرف يد العازف، و ترحب به ترحاباً بالغاً، إلا أن هناك صوتاً مدوياً إلى جانب هذا

العزف السارّ ألا وهو صوت القتلى والجرحى وقد نزت الدماء من أبدانهم، وقد تعالت هذه الأصوات وهي مشوبة بالدماء.

إنها صورة مفرحة مؤلمة، فيها الأمل المرجو، وفيها المعاناة والتضحية من أجل الوطن الذي طالما يطلب الدماء والتضحية كي يتحقق ما يصبون إليه:

شممت تراب بلادي فأكد أني ورثت كما ينبغي

رثة عن رثة

ولما أخذت ربابة جدي وأنشدت هذي الشروقية البكر صاحت ربابة جدي:

يدا عازفي مئة بالمئة.

ولكن صوتاً جديداً يغرغر بالدم صوتاً

جديداً، فأين؟

...

...

فماذا يجيء غداً؟

فماذا يجيء

(القاسم، ١٩٩١م، ج ٤: ٨٥-٨٧)

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ

لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا

تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَتَرِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (سورة يوسف، ٥٨-٦١)

٥.٢.٧. هاجر واسماعيل:

من الشخصيات القرآنية التي استوحاها الشاعر هي شخصية اسماعيل وهاجر في القصة القرآنية عندما بدأت تهول ذهاباً وإياباً عند الماء لتسد رمق وحيدها، فعثرت على الماء أخيراً وكانت "زمزم". استخدم الدلالة القرآنية للغوص في سبر أعماق المعاني، يقول سميح القاسم في سرية "ثالث أكسيد الكربون" في مقطع سيرة "بنيون":

صاح صيحته فارس الدم والياسمين

هاجر المتعبة

سئمت في المنافي ولائها المرعبة

سئمت غوث جبريل والمافيا ..

وأضافت وكالات أنبائنا ..

أصبحت "زمزم" بثر نفض ... و"بنيون" غرثان مستكلب

ايه يا هاجر انتظري طائر الرعد والإخوة الباسلين

ايه، وانتظري طفلة تتقن الموت والبعث

عنقاء من دير ياسين .. طالما سئمت الانتظار

وقبيل النهار

أسرجت خصرها للفتى إسماعيل

ومضت في الطريق الطويل ...

إنها في الطريق إلى بيتها
في الطريق .. و ما من دليل
غير دم القتيل
صاح بنيون من مهده العسكري :
- لن تعود !
- هاجر احترقت .. مرة .. مرتين !
و لغمنا الحدود !
صاح بنيون من مهده لن تعود
و استعد الجنود ...

(القاسم، ١٩٩١م، ج٤: ١٨٧)

فالسيدة هاجر أعطت دلالة أخرى هي رمز لفلسطين التي سئمت المنافي، و هاجر فلسطين التي احترقت، و "ززم" دلالة على اللفظ العربي، و "بنيون" رمز لصهيون و "الفتى إسماعيل" رمز للفلسطيني العربي.

٥.٢.٨. النبي يونس عليه السلام :

يستلهم الشاعر شخصية يونس عليه السلام حين ابتلعه الحوت، فكان متأرجحاً بين الكشف و البوح، و بين التخفي و التجلي، و ما بين الغموض و الوضوح، فعندما يقدم له النادل قهوته يتوحد معها، و فجأة يشق القهوة حوت هائل، يغزو قهوته، و تبقى القهوة مع فنجانها معلقة ما بين الأرض و السماء، و سميح القاسم هنا في قصيدته يقلب الحقائق لتكون الدلالة مغايرة، و وفق ما ورد في القرآن الكريم أن الله سبحانه و تعالى أوحى إلى الحوت ألا تأكل له لحماً، و لا تشهم له عظماً و البطن تكون له سجناً، و قيل: إنه ابتلع ذلك الحوت حوت آخر أكبر منه. قالوا: ولما استقر في جوف الحوت حسب أنه قد مات، فحرك جوارحه فتحركت، فإذا هو حي، فخر لله ساجداً، و قال: يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يعبدك أحداً في مثله، فعند ذلك و هنالك قال ما قال بلسان الحال و المقال كما أخبر عنه ذو العزة و الجلال الذي يعلم السر و النجوى، و يكشف الضر و البلوى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مَغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَأِ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء، ٨٧) (ابن كثير، ١٩٨٣م، ص ١٥٦)، و في قصيدة سميح كان يونس يتوجع حيث كان صوته مكتوماً، ليصور الواقع الفلسطيني المتمثل بالصراع الدائم بين الحوت و هو الاحتلال و يونس المتمثل بالفلسطيني المتخفي، المتشرد، المنفي فيقول في قصيدة "ماذا حدث للمتنبى حين دخل مقهى في شعب بوان":

و يشق عباب القهوة حوت هائل
من أعماق الحوت يأتي مكتوما صوت يونس
"إلي إلي، يا صاحبي!"
لا يتردد و لا يجري حساباً
يلج بطن الحوت
و يبقى فنجان القهوة وحيداً
معلقاً في الفضاء ! (القاسم، ١٩٩١م، ج٤: ٢٨)

٥٠٢٠٩. النبي محمد ﷺ :

يستلهم الشاعر سميح القاسم بما يتعلق بالرسول الكريم ﷺ من القصص، إذ يقول في قصيدة "الموت قبل موعد المباراة":

كل الذي أملكه
قربة مائي هذه، وهذه الرّبابة
و كسرتا خبز (دمي الأدام)
و قبضة من حشيف البيد قبيل الغارة الأخيرة
خذها إذن و بشر

يا أيها المدثر (القاسم، ١٩٩١م، ج ٢: ٢٢٨)

الدلالة في النص الشعري تمتص الدلالة القرآنية وهي دلالة على حال الرسول ﷺ عندما بلغه قول قريش فيه إنه ساحر، إذ قال بعضهم: ليس بساحر و قال البعض الآخر: كاهن، و منهم من قال إنه شاعر و قال آخرون إنه ساحر يؤثر، أما الدلالة في النص الشعري "يا أيها المدثر" فهي تنصرف إلى الفلسطيني الحزين خذ ما تملك و بشر، خذ ربابتك، و كسرة خبزك بيدك و بشر و قل يا أيها الفلسطيني: إنني قتلت قبل موعد المباراة.

و في قصيدة "نخلة النص" يكرّر سميح القاسم النصّ القرآني بقوله:

كل الذي أملكه
على جياذ النار
فانهض إذن و بشر
يا أيها المدثر (القاسم، ١٩٩١م، ج ٢: ٥١١)

مع أنّ هذه العبارة اقتباس حرفي من القرآن الكريم: ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (سورة المدثر، ١)، و المخاطب في الآية هو النبي محمد ﷺ أما المراد منه في النص الشعري هو الفلسطيني.

إن سميح القاسم في قصيدته "المعراج الأرضي" هكذا يقول:

لا تعقدي يا أمه زنديه
لا تغمضي عينيه
أنت أجزت الموت في العبادة
فاشعلي المصباح
وهيئ الفراش و الوسادة
لعله يرتاح
في قمة الولادة
لا تعقدي يا أمه زنديه
لا تغمضي عينيه
لم يحسن الكتابة
لكنني قرأت في الوصية
بخطه... قرأت في الوصية
عن جنة شقية
يمنحها شبابه
و مرة.. يجبل في ترابها ترابه

لا تعقدي يا أمه زنديه

لا تغمضي عيني

إسراؤه الأرضي

لا يرضى سوى معراجه الأرضي ...

(القاسم، ١٩٩١م، ج١: ٤٨٤)

هنا يستوعب سميح قصة الإسراء والمعراج، التي أشار إليها سبحانه في قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ، مِنَّا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الإسراء، ١)، لتعطي الدلالة الروحية الدينية رمزاً وطنياً عميق المدى، ويزيد توضيحاً للنص الشعري، فعندما قرأت وصية الشهيد، وكانت عن جنة شقية، والمقصود وطنه، فالإسراء في القرآن الكريم هو رحلة الرسول ﷺ الروحية والجسدية من مكة إلى بيت المقدس، ومن ثم معراجه إلى السموات السبع، أما في نص سميح فالإسراء والمعراج رحلة الشهيد وعلاقته بأرضه فلسطين، والجنة في القرآن هي جنة النعيم أما الجنة في القصيدة فهي جنة شقية وهي أرض فلسطين.

وقد كرر سميح لفظ المعراج والإسراء والبراق مستوحياً النص القرآني ليعمق ارتباطه بالأرض كارتباط الإسراء والمعراج بمحمد الرسول الكريم ﷺ، وكذا ليعيد إلى الذاكرة الجماعية للمسلمين، أما تغير الدلالة هنا فبستان حبيبي هو إسراؤه، أما فاكهة هذا البستان فمعراجه، و"براقه" هو الذي يوصله إلى هذا الوطن عن طريق حبه لله:

بستان حبيبي إسرائي

معراجي فاكهة حبيبي

و"براقني" شغفي بالله!

شغفي بالله!

(القاسم، ١٩٩٤م، ص ٥٠)

ويأخذ سميح من القصص الإسلامية المتعلقة بالنبي ﷺ قصة الحمامة والعنكبوت حينما هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة ولاذ بغار "ثور" متقبلاً شر أذى قريش وخشية على دعوته، راصداً أكبر الفرص لتبليغ رسالته، يقول في "نشيد الأنبياء":

أحراء! هل هجرت حمامتك الوديعه؟

هل جفتك العنكبوت؟

أحراء

هل دهمت قريش أمان لائذك الكريم؟

فراح تحسنا الكفار

مغدورا يموت؟!

عادت مني وأبولهب

عادا... فماتت وتب! (القاسم، ١٩٩١م، ج٤: ٢٥)

إن تغير الدلالة هنا يبرز جلياً لصور الواقع الاجتماعي والسياسي، ويتعد عن المباشرة مقترباً من الآفاق الإيحائية، مرسلاً إلى المتلقي ألواناً وأنواعاً من الإيحاءات، ومن خلالها يربط بين العلائق المباشرة، حد الائتلاف، ف"قريش" في النص الشعري هي دلالة على "المحتل"، و"حراء" هي ملجأ الفلسطينيين المتشرد الذي يلوذ به لبعض الأحياء والهجرة هي الحل لهذه الأزمة.

نتائج البحث

لا ريب أن أحد مصادر استلهام الشعراء العرب في خلق آثارهم الأدبية هو القرآن الكريم و تعاليمه العالية، و مما لا شك فيه أن "التناص القرآني" في البلدان الإسلامية، و خاصة فلسطين بعد الغزو الثقافي من جانب العدو الصهيوني أصبح أمراً مشهوداً.

لقد انتهت هذه الدراسة إلى أن الشاعر "سميح القاسم" و الذي يُعتبر رمزاً من رموز المقاومة الفلسطينية قد اتخذ هذا النهج "التناص القرآني" في بعض أشعاره أيضاً، مستلهماً من الذكر الحكيم، كي يبين موقفه من الاحتلال، فهو من منطلقه هذا يريد إثارة شعور التحرر و المقاومة لدى الشعب الفلسطيني، و ذلك باستخدام بعض المفاهيم القرآنية لشحذ عواطفهم، و قد ظهرت هذه الظاهرة في آثاره في مجالين:

أ - العبارات القرآنية.

ب - الشخصيات القرآنية.

إنه يحاول أن يستمد من التراث الإسلامي، و خاصة من القصص القرآنية ليعطي بعداً دلاليّاً للواقع السياسي و الاجتماعي، و كذا الوضع المتأزم في الأراضي المحتلة و ما يعانیه شعبه من الواقع المرير الذي يواجهه هذا الشعب المهضوم حقّه.

مصادر البحث

كتب:

- القرآن الكريم .
- ابن ربيعة. ليبد. (١٩٩٣م). ديوان ليبد بن ربيعة العامري. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن كثير. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر. (١٩٨٣م). قصص الأنبياء. بيروت: دار الفكر.
- الأنصاري. حسان بن ثابت. (١٩٧٤م). ديوان حسان بن ثابت. حققه وليد عرفات. بيروت: دار صادر.
- بنيس، محمد، (١٩٩٠م). الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها. المغرب: دار توفال.
- تاويريت. بشير. (٢٠٠٨م). التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر. دمشق: دار و مؤسسة رسلان للطباعة و النشر و التوزيع.
- الجاحظ. أبو عثمان عمرو بن بحر. (د.ت). البيان و التبيين. تحقيق عبد السلام هارون. ط٢. بيروت: دار الجيل.
- الجواهري. محمد مهدي. (١٩٧٣م). ديوان الجواهري. جمعه إبراهيم السامرائي و آخرون. بغداد: مطبعة الأديب البغدادية.
- الجبوري. يحيى. (١٩٦٤م). شعر المخضرمين و أثر الإسلام فيه. بغداد: مطبعة الإرشاد.
- الحلبي. شهاب الدين محمود. (١٩٨٠م). حسن التوصل إلى صناعة الترسيل. تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف. بغداد: وزارة الثقافة و الإعلام.
- حمدان. عبدالرحيم حمدان. (٢٠٠٦م). التناص في مختارات من شعر الانتفاضة المباركة. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية و الإنسانية.
- الخضراء الجيوسي. سلمى. (٢٠٠٠م). موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر. دن.
- الدراجي. محمد عباس. (١٩٨٧م). الإشعاع القرآني في الشعر العربي. بيروت: عالم الكتب.
- درويش. محمود. (١٩٧١م). شئ عن الوطن. بيروت. دار العودة.

- صدوق. راضي. (٢٠٠٠م). شعراء فلسطين في القرن العشرين. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الفيروزآبادي. محمد بن يعقوب. (١٩٢٣م). القاموس المحيط. مصر: المطبعة الأميرية.
- القاسم. سميح. (١٩٨٧م). ديوان سميح القاسم. بيروت: دارالعودة.
- . (١٩٩١م). المجموعة الكاملة. كفر قرع: دار الهدى.
- . (١٩٩٤م). الكتب السبعة. بيروت: دار الجديد.
- كنفاني. غسان. (١٩٨٦م). الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال ١٩٤٨-١٩٦٨م. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين. (١٩٩٥م). الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري .
مجلات:
- رستم پور. رقية. (١٣٨٤هـ.ش). التناسق القرآني في شعر محمود درويش. مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها.
مواقع الكترونية:
www.aklaam.com.
www.sofnet.com.
www.aljareeda.com.
www.Jehat.com .